# الوضع المنهجي للعمل بالنظرية ومحددات توظيفها في أبحاث الإعلام و الاتصال (مراجعة نقدية)

# The methodological situation for working with scientific theory and the determinants of its use in media and communication studies (Critical review)

هشام عبادة[1]

[1]جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، abada.hicham@univ-biskra.dz

**الملخص:**

تهدف الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على إشكاليات توظيف النظرية العلمية في بحوث الإعلام والاتصال، انطلاقا من المغالطات والأخطاء الشائعة التداول لدى الطلبة في أطروحاتهم ومذكراتهم، نظرا لاختلاف كبير في طرق تدريسها مع إهمال الجانب التطبيقي للعمل بالنظريات والاكتفاء بالمناحي المفاهيمية فقط، مما جعل كثيرا من البحوث تسيئ إلى استخدام النظرية وتوظيفها، وتؤكد ذلك مسابقات الدكتوراه التي نكتشف من خلالها دائما ضعف الجهاز التفسيري للمترشحين والقدرة على استنطاق الواقع وفق أطروحة استنباطية تأسس على فهم واعي ومتقن لأبعاد وكيفيات تبني النظريات في الدراسات الاستنباطية.

إن الاعتماد على النظريات يؤسس لجعل البحث العلمي أكثر تماسكا ويضعه في مسار إنتاج المعرفة، أكثر من مجرد إيجاد حلول لإشكالية ما، وعليه نلاحظ أن توظيف النظريات في حقل الإعلام والاتصال مرهون بالاستلاف إلى حد الآن، وأن فعل التنظير مزال عاجزا لعدم كفاية الأدوات والآليات المفعلة له، وأحد أسباب هذا القصور تصاعد تيار العبر تخصصية الذي يفتح المجال لاستقدام النماذج والنظريات الجاهزة وتجريبها دون الذهاب إلى أيجاد محركات إنتاج ما يماثلها أو يفوقها نوعا وكما على صعيد البيئة العربية.

**الكلمات المفتاحية:** النظرية، المنهجية، التوظيف، البراديغم، الدراسات الإعلامية

**Abstract** : The research paper aims to shed light on the problems of employing scientific theory in media and communication research, based on the fallacies and common mistakes

students have in their theses and notes, due to the great difference in teaching methods while neglecting the practical aspect of working with theories and being satisfied with the conceptual aspects only, which made a lot of research Misuse of theory and employing it, and this is confirmed by doctoral competitions, through which we always discover the weakness of the explanatory apparatus of the candidates and the ability to question reality according to a deductive thesis based on a conscious and elaborate understanding of the dimensions and methods of adopting theories in deductive studies.

The reliance on theories establishes to make scientific research more coherent and puts it in the path of knowledge production, more than just finding solutions to a problem, and therefore we note that the use of theories in the field of information and communication is subject to borrowing until now, and that the act of theorizing is still impotent due to insufficient tools and mechanisms to activate it. And one of the reasons for this shortcoming is the rise of a stream of specialized lessons, which opens the way for bringing in ready-made models and theories and testing them without going to find engines of production similar to or greater than them in quality and quantity on the level of the Arab environment.

**Keywords**: **the Theory, Methodology, recrutement, Paradigm, Media Studies**

---

**1. المقدمة**

تميز عملية توظيف النظريات العلمية في أدبيات البحث حالة فوضى واضطراب منهجي، مرده الإرث المعرفي الغير مرتب، وتعدد المداخل والبراديغمات وتداخلها من ناحية أخرى، بسبب ضعف التفكير المنهجي الكفيل بإنجاح المطلب التفسيري والتأويلي لقوانين وعلاقات النظرية الموظفة، وهذا ما أنتج انزلاقات منهجية على مستوى الانتقال من فهم النظرية كنسق معرفي إلى فهمها كإجراءات مقيدة بأسس وممارسة منهجية ضابطة، وموجهة لعملية احتواء إشكالات البحوث والدراسات الإعلامية والاتصالية، لذلك توجهت المداخلة نحو التركيز على موضعة النظرية ضمن اشتغال منهجي مؤسس بعيدا عن التوظيف العشوائي الذي كرسته الأخطاء الشائعة في البحث العلمي.

يكون بناء النظرية واختبار النظرية صعب بالذات في العلوم الاجتماعية والإنسانية بسبب الطبيعة المبهمة للمفاهيم النظرية والأدوات الغير كافية لقياسهم ووجود العديد من العوامل الغير معلومة والتي من شأنها أن تؤثر أيضا على طبيعة الظاهرة المبحوثة كما من الصعب أيضا تفنيد أو إقصاء النظريات التي لا تعمل أو التي صار العمل بها غير مجد في البحث العلمي وبالتالي فإن القيام ببحث جيد يتطلب مهارات نظرية وتقنيات منهجية تعملان مع بعضهما البعض إحداهما تضبط الأخرى.

مع بداية القرن العشرين تم رفض الاعتماد القوي على الوضعية التي سيطرت معرفيا من جانب العلماء التفسيريين المناهضين للفكر الوضعي وتعادلت الوضعية مع طرق البحث الكمي في حين اتجه البحث التفسيري إلى السياق الاستنباطي وهو ما بقي مرفوضا لوقت طويل لدى الوضعيين وقد انعكس ذلك في أعمالهم وكتاباتهم إلى الوقت الذي أقيمت فيه

مواضعات علمية مؤسسة للفكر الاستنباطي مما ساعد على تفعيل العمل الأساسي للنظريات والسيرورة الاستدلالية، وهو ما استفادت منه العلوم الإنسانية وحقل علوم الإعلام والاتصال لاحقا، إلا أن العمل بالنظريات في هذا التخصص عانى من مشكلة التنظير حيث بقية مسألة إيجاد بدائل معرفية تفسيرية أو إرشادية (نظريات أو نماذج) رهينة الترجمات والنقل المفاهيمي الذي توجه بالغرث الغربي نحو الموازنة و التكييف في البيئة العربية دون تجاوز ذلك إلى بناء أرضية معرفية قوية ذات مقومات وإمكانيات باعثة على إنتاج نظريات وفق الحاجة التي تفرضها طبيعة المشكلات و الظواهر المتجددة.

عند تمعن ومراجعة أطروحات الدكتوراه ومذكرات الماستر في تخصص الإعلام والاتصال نجد أن الكثير منها وليس معظمها، خال من وعي بالتوظيف أو التبني النظري، فلا تكاد تخرج حضورية النظرية في منجزاتهم العلمية عن مجرد تزيين للبحث أو اعتبار وجود نظرية في الدراسة عنصر تدعيمي سيغني من كفاءة الطرح وقيمته، لذلك تم إهمال منهجية توظيف النظريات ومعاييرها كما غاب الجانب المعرفي المتعلق بفهم اشتغالها و حدود تفسيرها، مما جعل النتائج التي يتحصل عليها الباحثون بعيدة كل البعد عن متطلبات وراهن البحث الاستنباطي، أما على مستوى العمل بنظرية فنلاحظ أيضا ضبابية في تدريس النظريات عمليا وليس نظريا، مما ولد قطيعة ابستيمولوجية واضحة مع منحى الاستنباط العلمي.

لذلك فإن هذه المداخلة تروم مراجعة دواعي توظيف النظريات في أبحاث الاتصال، ومن ثم تهيء لإقامة مراجعات شاملة في كيفيات هذا التوظيف حتى تتضح الرؤية بخصوص كيف يمكننا ممارسة الاستنباط عمليا، وتجاوز السطوة الوضعية التي حولت الدراسات الإعلامية إلى مجرد أرقام وجداول وإحصائيات، وليس هذا التمثيل إنقاصا من البحوث الكمية التي تؤطرها نظريات كثيرة، إنما هو لفت الانتباه لواقع الظواهر التي تتطلب مساءلة متنوعة النظريات والمناهج والبراديغمات، انطلاقا من المأسسة التي تشكلت منذ عقود وحددت عذا الواقع المتغير والمتطور.

**إشكالية البحث:**

تميز عملية توظيف النظريات العلمية في أدبيات البحث حالة فوضى واضطراب منهجي، مرده الإرث المعرفي الغير مرتب، وتعدد المداخل والبراديغمات وتداخلها من ناحية أخرى، بسبب ضعف التفكير المنهجي الكفيل بإنجاح المطلب التفسيري والتأويلي لقوانين وعلاقات النظرية الموظفة، وهذا ما أنتج انزلاقات منهجية على مستوى الانتقال من فهم النظرية كنسق معرفي إلى فهمها كإجراءات مقيدة بأسس وممارسة منهجية ضابطة وموجهة لعملية احتواء إشكالات البحوث والدراسات الإعلامية والاتصالية، لذلك توجت المداخلة نحو التركيز على موضعة النظرية ضمن اشتغال منهجي مؤسس بعيدا عن التوظيف العشوائي الذي كرسته الأخطاء الشائعة في البحث العلمي ومن هذا المنطلق يمكن تقديم التساؤل الرئيسي التالي:

**كيف يمكن تحقيق الضبط المنهجي لتوظيف النظرية في بحوث الإعلام والاتصال في ضوء فوضى الاستخدام الشائعة لدى الطلبة والباحثين؟**

وللتوسع في إشكالية الموضوع يمكن طرح الأسئلة الفرعية التالية:

- هل يعي الباحثون في حقل الإعلام الاختلاف المفاهيمي بين البراديغم والنظرية والمقاربة؟
- ما الذي أنتج توظيفا نظريا فوضويا؟
- ما هو الاستنباط وكيف يمكن ممارسته فب بحوث الإعلام؟
- متى نقول عن نظرية ما أنها صالحة وملائمة للتفسير؟

- كيف نوظف النظريات في المجال الافتراضي؟

**أهداف البحث**: تهدف هذه المداخلة إلى تحقيق جملة من الغايات العلمية نبرز أهمها فيما يلي:

- التعريف بشروط وأساسيات النظرية العلمية في أبحاث الاتصال.
- توضيح أوجه الاختلاف بين النظرية والمفاهيم المتداخلة معها (مقاربة، براديغم، تصور....)
- مراجعة أوجه استخدام النظريات وتقييمها.
- الكشف عن أهمية منهجة التوظيف النظري للخروج بها إجرائيا من حالة الفوضى إلى نماذج الدقة.
- الكشف عن ممكنات وجدوى توظيف النظريات في البيئة الرقمية.

**2. الجانب النظري:**

**1.2 مقاربة وبراديغم ونظرية (مدخل مفاهيمي):**

يشير **الاقتراب** إلى المعايير التي تنتقى من خلالها الأسئلة والبيانات الملائمة، كما يستخدم المدخل للإشارة إلى المعايير المستخدمة في انتقاء الأسئلة التي تطرح والضوابط التي تحكم اختيار موضوعات ومعلومات أو استبعادها من نطاق البحث، ويمكن الاستعانة بمدخل واحد أو أكثر في مجال الدراسات الاجتماعية والإنسانية ، وعليه فالاقتراب يستخدم كإطار لتحليل الظواهر السياسية والاجتماعية ودراستها، كما يساعد الباحثين والمحللين على تحديد الموضوعات الأكثر أهمية وإيضاح جوانبها الأساسية ويعينهم على الكيفية التي يعالجون بها موضوعاتهم. (بوحوش، 2019، ص160)

**والمقاربة** عموما تتعلق بخطوة فكرية وهي تتطلب المراجل النظامية المرئية، للتقنية إنها موقف ينطوي على المرونة والحذر ويتصف بحالة من اليقظة، إن المقاربة هي المنهج والتقنية بدون حدود بينهما لا يطبقان بالجملة، وإنما يستعملان لدراسة موضوعات حساسة بجرعات مناسبة لردود فعل غير متوقعة والمقاربة تقدم في صورتها التطبيقية (اشتغال) والنظرية (بناء وتصور).

والمقاربة يمكن أن تكون صيغة نظرية مستقاة من مجموعة من الأفكار والتجارب الإيديولوجية، أي أن نجاحها يمكن أن يكون متنوعا وليس موحدا، في حين أن المدخل المنهجي يكون مادة ذو اتجاه واحد، بينما تكون المقاربة على سبيل المثال سوسيو ثقافية أو سوسيو تاريخية مقارنة، وهذا ما يثبت تنوع اتجاهاتها، كما أنها لا ترتقي أنتكون مدخلا منهجيا، فهي لا تعدو أن تكون أكثر من طريقة. (العيشي،2017،ص51)

والاقتراب يحمل معه خلفيات فكرية وثقافية للمجتمع العلمي الذي ولد فيه، ما يوجب على الباحث الذي يتبع اقترابا معينا سبق لغيره أن استخدمه التعامل معه بحذر والعمل على اختياره واكتشاف خلفياته.

يعرف الدكتور **(محمد الشلبي)** الاقتراب بأنه: **"يستخدم للإشارة إلى المعايير المختلفة في انتقاء الأسئلة التي تطرح والضوابط التي تضم اختيار موضوعات ومعلومات معينة أو استبعادها من نطاق البحث**، إذن هو "اتجاه أو ميل الباحث إلى اختيار مفاهيمي والاهتمام بدراسة مجموعة محددة من الفرضيات من أجل الوصل إلى صياغة نظرية معينة كما أنه يحدد نوعية المفاهيم، الاستفسار والطرق التي يستعملها الباحث في الدراسة (بوحوش،ص15)

**أما الدكتور عامر مصباح فيعرف الاقتراب بأنه:** "الإطار النظري الذي يؤطر البحث، ويعمل بمثابة المنظار المنهجي أو المبصار الذي ينظر بواسطته الباحث إلى الظاهرة المبحوثة"، والأهمية المنهجية للمقاربة المنهجية هي المساعدة على تأطير جهد الباحث وتفكيره وحمايته من التشتت، وفقدان التحكم في أبعاد البحث، أو متغيرات الدراسة. (بوحوش،ص15)

**وعليه يتأسس الاقتراب لدى الباحث وليس على مستوى النظرية كمجز، فهو البروتوكول الإجرائي الذي يبنيه باحث ما ويختلف فيه عن غيره من الباحثين يشمل مجموعة من المهارات الفكرية والمنهجية في التقرب من الظاهرة وتفكيكها وفهمها، بمعنى أنه العمليات التي تحدد الكيفيات الموصلة لاحتواء موضوع البحث نظريا ومنهجيا وتطبيقيا بشكل منتظم ومرحلي.**

**البراديغم:** كلمة مأخوذة من الأصل اليوناني (**paradeigma**) وتعني مثالا أو نموذجا (**pattern**) والمقصود بالبراديغم النموذج المعرفي الإرشادي في العصر المعني، وبما أنه في عصر معين، فهو راهن، ومؤقت ومتغير، والبراديغم يعيد معنى المثال أو النمط، والنمط لغويا هو أسلوب أو طريقة (طراز)، نوع، وصنف (سعد، 2017،ص48)

للتعبير عن مفهوم **البراديغم**، تستخدم في العربية مفردات كثيرة: (نسق، نظام، منظومة، أنموذج، مثال، هيكل، نظرية، منوال، ترسيمة...) غير أن هذا المقدار من المفردات التي تستخدم من دون تمييز في دلالاتها يعود إلى الفوضى المعرفية في الأوساط الأكاديمية العربية.. (سنديان،بلا،ص24)

وثمة مصطلح في اللغة الألمانية هو **Weltanschauung** مؤلف من كلمتين **Welt** ومعناها عالم، **Anschauung** ومعناها نظرة أو رأي أو تصور، يشير إلى طريقة لتصور العالم أو الإحساس به وفهمه، على نحو معين، وهو بالتالي يمثل أو يدل على إطار يساعد كل فرد على رؤية كونية للعالم المحيط، والاقتناع بتفسير له، والتفاعل معه ومع مكوناته (Willett, 2012, p03)

ويعرفه **محمد محمود ربيع** وزملاؤه بأنه: "**بناء نظري يحاكي من خلاله بنية منظومة ما وتركيبتها وكذلك آلية وتفاعلات مكوناتها وكذلك الظروف الخارجية المحيطة بها**"(بوحوش،2019،ص25) أي التقنيات والحلول للمشكلات التي يحصل عليها الباحثون من خلال الحقل المعرفي الذي يشتغلون فيه (دوبوا،2008،ص151)

يعرف **البراديغم** بأنه "المعيار الذي يضفي الشرعية على النشاط داخل المجال العلمي، ينسق ويوجه عمل العاملين في العلم العادي الذي يركز على حل الالغاز في المجال العلمي المعني ويحدد بدقة سيرورة الظاهرة المدروسة وجوانب الاهتمام التي توجه إليها والانتقال من العلم إلى الأنموذج يدفع إلى الدقة وعلمية التفسير والتأويل (لعلاوي،2018، ص96)

وفي معجم "أكسفورد" **البراديغم** هو وجهة نظر العالم التي تقوم عليها النظريات، ومنهجية البحث في الميادين العلمية، وهو تلك الانجازات العلمية والتي تقبل في زمن معين وتشكل أساس قويا لطرح المشكلات العلمية ولطرائق حلها، وهو كذلك مجموعة القيم التي يشترك فيها الباحثون في قبولها والتمسك بها، ويعني البراديغم مجموعة القوانين والتقنيان والأدوات المرتبطة بنظرية علمية والمسترشدة بها والتي بواسطتها يمارس الباحثون عملهم ويديرون نشاطهم (سراي، 2018، ص395)

وهو عبارة عن صورة نظرية لما هو موجود في العالم الواقعي، أي أنه بناء مشابه للواقع وهو أداة للتمثيل الواقعي، إدراكه في بعض جوانبه الأكثر مغزى وأهمية، وهو مركب ذهني من مفاهيم معينة يقوم على مجموعة من العلاقات الارتكازية، وهذه العلاقة هي بنائية بمعنى أنها تعنى بالتغيير في آن واحد لعناصر الأنموذج بحيث أن تغير إحدى هذه العناصر يحدث تلقائيا تغيرا في بقية العناصر بحكم الارتباط دون أن يعني ذلك وجود علاقة سببية بينها (بوحوش، 2019، ص24)

هو مجموعة من القناعات وطرق العمل المشتركة بين مجموعة من الباحثين في مدة زمنية تجاه أحداث أو قضايا أو مسائل ذات الاهتمام المشترك وفق رؤية نظرية وتطبيقية غالبا تتسم بالتكامل والانسجام.

إن مقولتي **المدخل والاقتراب** من القضايا الشائكة كونهما مازالا محل جدل واختلاف بين الباحثين وهناك نوع من عدم الدقة ولاستخدام لهما، فالمداخل تستخدم حسب بعض الباحثين للدلالة على الطريقة التي يسلكها الباحث حين يعالج موضوعا ما أي النقطة التي يبدأ منها تناول الموضوع ويعرفه موريس أنجرس بأنه: "**طريقة خاصة غير تقليدية في استعمال النظرية** كما يعرفه على أنه "التصور المنهجي لرؤية الواقع وتناول ظواهره ومراجعة الأنساق النظرية المساعدة حوله" ومن خلال التعريف نستنتج أن المدخل يشير إلى الطريقة المرنة لتناول البحث من منطق نظري، بحيث يشكل خلفية فكرية للباحث.

تختلف النماذج عن النظريات في أن دور النظريات هو **التفسير** أما دور النموذج فهو **التمثيل**، إن مصطلح النموذج يعتبر من المصطلحات التي تستخدم في كثير من الأحيان جنبا إلى جنب مع النظرية، فالنموذج هو تمثيل من النظام الذي يتم بناؤه لدراسة جزء أو كل النظام (باتشيرجي، 2015، ص49)

تؤكد الباحثة **(مارغريت ماسترمان)** المتخصصة في الإعلام الآلي في دراستها التحليلية النقدية الصادرة عام 1962 حول **توماس كوهن** بأن طرحه للنموذج ذو نظرة سوسيولوجية وليست فلسفية بخصوص البراديغم، وأكثر من ذلك تجزم بأن دراسات كوهن التي أجراها تتضمن أولا المسار الشامل المؤدي إلى بناء شرح علمي بدون تعقديات، وكنوع من الاستشراف فالبراديغم يتحدد عندما لا تكون نظرية.(margaret, 1970, p59-89)

يتعين على الباحثين أن يكون لهم القدرة على التحرك ذهابا وإيابا بين الاستدلال والاستقراء والاستنباط إذا أرادوا تطوير أو تعديل نظرية معينة، أو صياغة نظريات أفضل، ونتيجة هذه العملية هي النموذج (تم تمديدها أو تعديلها من النظرية الأصلية) والتي يمكن اختبارها تجريبيا، إذا فالنماذج تعتبر وسيلة هامة لتقدم النظريات، وتخدم النظريات والنماذج أدوارا مختلفة قليلا في فهم ظاهرة معينة وبالتالي فكلاهما مهم في البحث العلمي. (باتشيرجي، 2015، ص51)

**2.2 فوضى العمل بالنظريات في بحوث الإعلام والاتصال:**

تشمل فوضى النظريات في بحوث الإعلام والاتصال عدة أشكال وأوجه من بينها:

- ✓ توظيف عشوائي للنظريات دون دراية بأيها أكثر ملاءمة للتفسير،
- ✓ إضافة إلى الاعتماد على التأطير المتعدد المداخل النظرية أي توظيف أكثر من نظريتين في البحث دون فهم مسبق للشروط والمعايير الضابطة لهذا التوظيف وأبعاده،
- ✓ كذلك على مستوى التفسير يغيب لدى كثير من الباحثين والطلبة الامام بالطرق الإجرائية المنهجية المحددة لفحص النظريات من حيث الاتساق، والتكامل، والقدرة على التفسير، وقابلية الاسقاط، وانسجام الطرح،
- ✓ ومن بين الأشكال السائدة الاعتماد فقط على نظريات قليلة في فهم ظواهر مختلفة سيما دراسات الجمهور، أو المحتوى أو القائم بالاتصال، مع العلم أنه لا يمكن مساءلة كل الظواهر التي يسمها قانون التغير والتجدد بمقاربات نظرية ذاتها بالطريقة نفسها، مما يفضي إلى رتابة البحث وتكراره، إذ لا يمكن تقبل مثلا الافراط في استخدام نظرية

الاستخدامات والاشباعات بهذا الشكل التي هي عليه في عملية بناء أطروحات الدكتوراه، ومذكرات التخرج في طور الماستر!

أما بالرجوع إلى أسس توظيف النظرية، فنلاحظ غياب الاقبال على أطروحات الاستنباط في بحوث الإعلام والاتصال، وتكاد نسبة كبيرة من البحوث تنزع نحو استقراء الظواهر والتعاطي معها فقط من منظور التعرف والاستجلاء والكشف، مما جعل المداخل الاستنباطية مغيبة لعدة أسباب يمكن حصر أهمها في:

- ضعف التحكم المنهجي المحدد لمبدأ الاستنباط وكيفياته.
- الافراط في الاستقراء وفي طغيان البحوث الميدانية التي استعيرت من البحث الاجتماعي ولم تكيف بشكل جيد بما يتلاءم مع خصوصية البحث في حقل الإعلام والاتصال، رغم مرور عقود على إقامة بيان العبر تخصصية، التي أضحت بدورها ذريعة لدى البعض من الباحثين لتغطية مكامن النقص والعجز أحيانا في العمل وفق المنهج الاستنباطي.
- غياب تدريس التفكير المنهجي أو فلسفة المناهج في أبحاث الإعلام والاتصال.
- ضعف البحث النوعي (الكيفي) وإنزال البحوث غالبا منزلة الدراسة في البعد الإحصائي والكمي والعدد، تحت مسمى "مرض العد لأجل العد"

**3.2 التبني النظري وأطروحة الاستنباط:** هناك طريقتان في بحوث الاتصال يلاحظ أنهما سائدتان في حاليا، الأولى تتم فيها استخدام النظريات وذكرها في التأطير الأولي للبحث، ثم لا تجد لها حضورا في مراحل البحث اللاحقة، والثانية: تتم فيها تبني نظرية ما مؤطرة لموضوع البحث مع غياب الشق التفسيري لها، أي عدم وجود أي بعد تفسيري أو عملي يوضح كيفيات العمل بالنظرية في فهم الواقع واستجلاء استفهاماته التي شكلت منطلق البحث منذ البداية، فتصبح النظرية بهذه الصيغة مجرد إكسسوار تزييني خالي من العمق.

كشفت دراسة ميدانية أجرتها الباحثتان (**سهام بوزيدي وسوسن لونانسة**) أن التوجهات النظرية لمستخدمة يغلب عليها التكرار حيث جظيت نظرية الاستخدامات والاشباعات وبشكل مبالغ فيه على اهتمام المبحوثين بنسبة 64 بالمائة، أما عن كيفيات توظيف الباحثين للنظرية أو المدخل وما إذا كان ملائما للدراسة فقد أوضح تحليل الدراسات السابقة سطحية تناول وتوظيف النظرية في أغلبها، وأيضا في اختبار فروضها، فقد اكتفى الباحثون بعرض مطول في كثير من الأحيان للنظرية دون توضيح لطريقة توظيفها أو معالجتها لمشكلة البحث (لونانسة، 2019، ص307)

**3. التنظير والنظرية:**

تنتمي النظرية إلى حقل التبرير بينما التنظير ينتمي إلى سياق الاكتشاف ويمكن عزل والعناصر التي تشكل عملية التنظير والمقصود هنا بالتنظير العلمية التي تسبق وضع النظرية في شكلها النهائي ولا يمكن وضع نظرية دون معرفة بالحقول المعرفية ذات نطاق واسع.

لا يتعلم العلماء أبدًا المفاهيم والقوانين والنظريات بشكل مجرد، ولكن يتم ذلك دائمًا من خلال النموذج الذي يبرزها. خلال الأزمة علميًا، فإن النموذج الذي تقوم عليه الممارسة العلمية موضع تساؤل صياغة العديد من النظريات

التخمينية وغير الدقيقة التي قد تؤدي إلى الاكتشافات، وبذلك يتحدد المسار الذي تتولد منه النظريات في شكل ترسيمات معرفية تؤدي إلى اكتشاف ما منظم تم النظرية فيه والتحقق منه.(Littlejhon, 1989, p10-11)

تعتبر النظرية شبكة من المفاهيم التي تولدت عن دراسة جزء من المجتمع في حركتيه أو أحد بنياته الثابتة، الأمر الذي لا يخرج الطرح الفكري عن تأثيرات السياق الاجتماعي بمختلف مقارباته، وحقل الإعلام والاتصال هو حقل غربي بالدرجة الأولى ونظرياته خاصة الكلاسيكية منها لم تخرج عن الفلسفة الغربية في مختلف تطوراتها وعن مناهج الفكر الغربي على اختلاف تجلياته، حيث كان أساس التراث النظري الخاص بعلوم الإعلام والاتصال منتجا غربيا خالصا، دارسا لوضعيات اجتماعية وسياقات غربية، حتى وإن كان في الكثير من الحالات وعلى الرغم من تقديمه لنظرة منهجية عميقة وطرح فكري، إلا أنه يخلوا في الوقت ذاته من طرح مرجعي فكري واضح، بل تأثر بالبحوث الإمبريقية المدعومة من الرأسمال الغربي، مع ما يتركه ذلك من اختلالات وتأثيرات على البحث العلمي (الوهاب، 2014، ص177)

فعلى المستوى النظري، نجد مكونات العلوم الإعلامية قد تطورت بين النظريات التقنية والنظريات اللغوية والنظريات البسيكو-سوسيولوجية التي عالجت مسألة التأثير التي تحولت إلى براديغم paradigme أساسي في العلوم الإعلامية فيما بعد، لقد كانت البداية مع نظرية التأثير المباشر 'القوي والفوري)، ثم نظريات التأثير الانتقائي (غير المباشر والمحدود)، ثم مع سيطرة حوامل الإعلام الالكتروني وتكنولوجياته، أصبح للتأثير طبيعة وسمات مختلفة ومتداخلة (ذهبية، 2019، ص113)

إن النظريات عبارة عن شروحات لسلوك طبيعي أو اجتماعي أو لحدث أو ظاهرة وبشكل أكثر رسمية فإن النظرية العلمية تتكون من نظام من البينات أو التركيبات (المفاهيم) واقتراحات (العلاقات بين تلك المتغيرات) والتي تقدم بشكل كلي شرح منطقي وتنظيمي ومنهجي متماسك للظاهرة محل الاهتمام من خلال بعض الافتراضات والشروط المحددة (Huene, 1993, p41)

قبل ظهور البراديغم كابستيمولوجيا جديدة في المعارف والعلوم، كانت المعرفة تنتقل من **المبادئ والنظريات** إلى الظواهر وكانت التجريبية تعتبر التجارب محك صدقية المبادئ والتجارب، وركزت الوضعية والتطورية على المطابقة ما بين النظريات والواقع المدروس والمشاهد لتبيّن الصدق من الخطأ، وبظهور البراديغم خرجت المعرفة من الحتمية واليقينية وتكسرت المبادئ المطلقة في تفسير الظواهر وفهم العالم، وكادت النظرة القائمة على التراكم المعرفي أن تختفي لتحل مكانها النظرة إلى الأنموذج المعرفي، الذي شكل نظرة جديدة إلى الأشياء نفسها (سعد، 2017، الصفحات 46-47)

يطرح **ريتشارد سويدبرغ (Richard Svedberg)** في مقاله المعنون ب (**قبل النظرية يأتي التنظير**) سؤالا مهما للغاية مفاده كيف يمكننا أن نطور مقاربة لتدريس النظرية بطريقة فاعلة كما هي الحال مع الطريقة المتبعة حاليا في تدريس المناهج؟ ويأتي التنظير كمشروع أولي في نظره لفهم كيفية إعداد أو بناء نظرية ما كعمل موحد وكيف يتم التعامل معها في البحث الامبريقي وكيف يمكن من ناحية أخرى تدريسها بأسلوب فاعل. (سويدبرغ، 2017، ص166)

إن البرهان على خطأ نظرية أقل صعوبة من البرهان على صحتها، ومن الفطنة إذا أن نستبدل مفهوم الفساد بمفهوم التحقق، الأقرب مع ذلك الفكرة الطبيعية للبحث عن الحقيقة ولا يوجد إلا في العلوم الشكلية معيار جاهز يسمح بإثبات النظرية، أي أن أيا من نتائجها ليست متناقضة مع الواقع، ولكن مفهوم إثبات الخطأ هذا، في العلوم الاجتماعية يصبح غير كاف في حالة الاقتصاد وعلم الاجتماع خاصة، اللذان مزالا شبه تجريبيين (غراويتز، 1993، ص32)

بينت نتائج دراسة أجريت عام 1978 عن مفهوم النظرية أن علماء الاجتماع الأمريكيين لم يكونوا يتصورا مفهومها بالطريقة نفسها ويرى بعض الكتاب أيضا أننا نستطيع تجميع التعريفات في ثلاثة أصناف:

1-**تصور شكلي**: إن النظرية نظام افتراضي استنتاجي تكونه مجموعة من القضايا عرفت مصطلحاتها بدقة ووضعت انطلاقا من مفهمة للواقع المدرك أو الملاحظ.

2-**تكوّن النظرية** في رأي مانهايم **Mannheim** و"نيسبت"**Nisbet** نظاما من المعتقدات الايديولوجية، وهي تتيح بتنوعها مع التاريخ، فهم الحقيقة التي تثيرها.

3-**النظرية المفسرة:** وهي تساعد في فهم عصر (مثال ذلك **ريسمان وغوفمان**) ويرى **"غولدنر" Goldner ونيسبت Nisbet**أن النظرية الجيدة هي التي تعطي للواقع معنى (غراويتز، 1993، ص95)

فالنظرية حسب **كارل بوبر**، هي معرفة موضوعية مبنية على ملفوظات منسجمة ويمكن التحري في صحتها، أي يمكن إجراء فحص النظرية أكثر من مرة للوصول إلى الحقائق الموضوعية ذاتها، وهذا يوحي بأن الواقع الذي يجري فحصه يتسم بثباته وعدم تغيره(Attallah, 1991, p10)

ومن أجل بناء النظرية العلمية يوصي ستانفيلد وفولك بأربعة طرق ومراحل هي:

أ-**البناء الاستقرائي** (**induction**) للنظريات القائمة على أنماط الملاحظة للأحداث والسلوكيات تحت ما يعرف ببناء الأسس النظرية التي رغم أنها تنطلق من استقراءات إلا أنها محكومة بتحيزات الباحث.

ب- **القيام بالتحليل المفاهيمي** من الأسفل إلى الأعلى والنظر في المدخلات والعدة الإصطلاحية و المفاهيمية الممكن لها التعبير عن جزئيات الظاهرة ككل. (باتشيرجي، ص84-85)

ت- مراجعة النظريات القائمة و تعديلها لإمكانية مصادفة تفسيرات لسياقات جديدة.

ث- تطبيق النظريات القائمة في سياقات جديدة بالكامل اعتمادا على المنطق والقياس وهو أمثر الطرق توظيفا في التنظير الحاصل اليوم.

**والمقصود أن النظرية وعاء معرفي قابل للتجريب والإسقاط للتأكد من مدى قدرتها على قراءة ظاهرة ما في الواقع، وتفسيرها تفسيرا معمقا، بعد التأكد من سلامتها العلمية وصحة علاقاتها المنطقية التي تطرحا كقوانين أو كصيغ وعلاقات تفسيرية، وليس من الممكن العمل بنظرية غير مألوفة أو غريبة، أو غير مجربة على نطاق واسع أو غير متأكد من قابليتها وكفاءتها على قراءة الواقع قراءة علمية خالية من الافتراضات الشخصية للباحث.**

في المقابل لم تحقق النظرية تقدما مماثلا، صحيح أن مساهمات فردية قد أنجزت منذ الحرب العالمية الثانية، كما يتضح من أعمال بعض الأفراد المتميزين، مثل **غوفمان وبورديو** وآخرين، لكن المهارات العلمية للتعاطي مع النظريات ومحاولة صوغ نظرية بالنسبة إلى المتخصص العادي في العلوم الاجتماعية لم يجر تطويرها بصورة مماثلة. ولعل هناك سببا واحدا لذلك، هو أن الطلاب **لم يدرسوا النظرية بصورة فاعلة مرة أخرى**، نقارن ذلك مع المناهج، حيث يمكن للطلاب

تلقي دروس فصلية في كل من المناهج الكيفية والكمية على السواء وبمجرد الانتهاء من هذه الفصول الدراسية يبدؤون تطبيق ما تعلموه في بحوثهم .(سويدبرغ، 2017، ص166)

**يتم تدريس النظرية للطلاب الجامعيين بشكل سطحي يتضمن مدخل مفهومي للنظرية ونشأتها وتطور استخدامها وروادها، مع حصر اسقاطاتها على مجالات وأمثلة شائعة التداول، مع غياب القدرة أو الكفاءة على التحليل وطرق توصيلها للطالب أو لنقل نماذج تطبيقية لاشتغال التفسير النظري، لكن ما يتكون دائما من استفهامات لدى الطلبة يتعلق بالكيفيات والآليات التي تحدد طرق العمل بالنظرية وكيفيات التفسير بها، عكس المناهج التي يعد تلقينها تقني ومهاري محدد بشروط ومعايير ضابطة.**

يتم وضع النظرية (**Theory**) وفقا لمجموعة من البنيات المترابطة بشكل منهجي والمقترحات التي تقدمت لشرح وتوقع ظاهرة معينة أو سلوك معين ضمن شروط حدودية وافتراضات معينة. وبشكل أساسي، فإن النظرية تعتبر مجموعة منهجية من المقترحات النظرية، بينما المقترحات تربط بين إثنين أو ثلاثة على الأكثر من البينات، والنظريات تقدم نظام من البينات والمقترحات المتعددة. وبالتالي يمكن للنظريات أن تكون جوهريا أكثر تعقيدا وتجريدا وأكبر نطاقا من المقترحات ولابد من الإشارة إلى أن الناس الغير معتادة على البحث ينظرون للنظرية على أنها غالبا ما تظهر بشكل تكهنات أو ما هو عكس الحقيقة (باتشيرجي، 2015، ص48)

إن تدريس النظرية ودراستها في حد ذاتهما يتمان في جو يكتنفه الغموض، فمثلا يكون أستاذ النظرية الذي تشغل النظرية كل اهتمامه أو جله، محل تقدير مشوب بالحسد مع كراهية تكاد تكون سافرة وفي الأقسام العلمية اللتي التي يفضل باحثوها الاهتمام بالأبحاث الميدانية، نجد أن الشهرة مكتسبة لدى هذا النوع، وعليه يعتبر المنظر شيئا زائدا عن الحاجة وموضوعا للتنذر وعبئا على زملائه، ويصبح في النهائية في منزلة أدنى وليس أعلى بين زملائه، وبالتالي فإن فهم النظرية مسألة تتعلق بتعلم التفكير نظريا أكثر منها بتعلم النظريات نفسها. (كريب، 1994، ص24)

**4. قابلية الاختبار وصلاحية النظريات:**

سقطت بعض النظريات القديمة من حيث القدرة على التفسير، على غرار نظرية حارس البوابة التي تعتبر من بين التراث النظري الذي أضحى غير منسجم مثلا مع واقع الميديا الجديدة وهذا ما يؤكده كل من **كيم سونغ تاي ودافيد ويفر** بالقول بأن نظريات الميديا الجديدة يجب أن يعاد صياغتها لتتلاءم والمعطيات الجديدة لتمدد شبكة الانترنت في الحياة الاجتماعية، وإعادة الصياغة يجب أن تشمل كذلك أدوات البحث الامبريقي والتأويلي وإجراء مقارنات بين النظريات لاختيار الأنسب منها للتفسير. (هميسي، 2014، ص64)

يمكن التفريق بين أربعة اتجاهات لتنفيذ فحص نظرية ما:

1- المقارنة المنطقية للاستتباعات التي تسمح بفحص الاتساق الداخلي للنُّظمة* النظرية (تركيبها)
2- تفحص الشكل المنطقي للنظرية (عدم تناقضها)
3- مقارنة النظرية بنظريات أخرى من أجل تقويم النظرية موضوع الفحص.
4- فحص النتائج المشتقة من تجريب النظرية (بوبر، 2006، ص68)

ويفيد بروتوكل الفحص معرفة ما إذا كان ما جاءت به النظرية من جديد محققا علميا أم لا، سواء كان ذلك بالتجربة العلمية أو بالتطبيق التقني العملي، وإجراءات الفحص تجرى باستنتاج علاقات النظمة النظرية بإجراء اسقاطات أخرى أو مراجعة تطبيقاتها من قبل (بوبر، ص68)

يصف بارسونز نفسه بأنه "مريض بداء التنظير" وما فعله بارسونز في الكثير من اعماله هو ترجمة النظريات الأخرى و دراستها والنظر في نتائج الأبحاث المختلفة وإعادة صياغتها بطريقته ليبين أنها مناسبة لنظريته وهو الذي فصل بين الترتيب المنطقي للنظرية وعن الواقع كممارسة ثم هل ستتماسك النظرية أم لا ؟(كريب، 1994، ص64)

تواجه الباحثين إشكالية كبرى تتعلق بملاءمة النظريات والمداخل النظرية والنماذج العلمية التي ظهرت في ظل وسائل الإعلام التقليدية والمستقاة أساسا من علوم اجتماعية أخرى والتي تم استخدامها لدراسة عناصر العملية الاتصالية في بيئة الإعلام الجديد، فواقع الأمر يشير إلى أن كثيرا من مسلمات النماذج والنظريات الاتصالية القديمة تتعرض لتآكل شديد بالتزامن مع طغيان نموذج الإعلام الجديد وتآكل النموذج الخطي القديم للإعلام الذي يسير في اتجاه واحد، إذ يحتاج هذا الاستخدام إلى إعادة نظر (لطرش، 2019، ص224)

- **نظريات قديمة وآفاق بحث جديدة:** يعاب على توظيف الدراسات الإعلامية ظاهرة التكرار والاجترار لمجموعة من النظريات المفسرة التي طال استخدامها لعقود من الزمن، رغم أنها نشأت ضمن بيئات تفسيرية مختلفة ومعطياتها تختلف أيضا عما يتم مساءلته في بحوث الإعلام عربيا، من جهة أخرى لم يتم تطوير هذه النظريات، مع العلم أن بعضها تم تجاوزه من حيث التوظيف، ومرد ذلك التغيرات التي طرأت على منظومة الظواهر وواقع البحث في النسق الاتصالي وممارسات وسائل الإعلام.

وتعد مفرزات وتطورات الوسيلة والقائم بالاتصال والجمهور ضمن نسقية عناصر العملية الاتصالية باعثا وعاملا قويا على ضرورة مراجعة النظريات المفسرة لظواهر البحث ومن ثمة تقييم من حيث هل مازالت تتمتع بالقوة نفسها للتفسير في ضوء الإشكاليات الجديدة التي تتوالد بلا توقف، فالجمهور على سبيل المثال، فلجمهور الرقمي مثلا لا يمكن أن تسقط عليه كل شروط المداخل التي درس بها من قبل.

تستلزم النظريات توفر شروط تفسيرها في البحث العلمي، وتفرض أيضا على الباحثين النظر في صلاحية أطروحتها وتطوريها إذا وصلت إلى مرحلة الضعف في قراءة الواقع، لذلك حدد كوهن شروطا للنظرية حتى تتعزز علميا، بعرضها على المراجعة من وقت لآخر ومقارنتها بتطور الأبحاث في البحث السوسيولوجي أو غيره.(Windahl, 1993, 105-107)

إن البحث في ظواهر علوم الإعلام والاتصال يفرض من هذا المنطلق عدم اللإفراط في مسائلة قضايا مختلفة ومتغيرة بأجهزة نظرية كثر العمل بها طيلة عقود، كون هذه الأجهزة التفسرية المتبناة لا يمكن أن تعطي نتائج قوية في قراءة الواقع إذا لم تطور تصوراتها وفروضها ولم تفحص بشكل دوري، مما يسمح بالانفتاح السلس والسليم على الإشكاليات البحثية الجديدة التي تتطلب تغييرا في الإجراءات المنهجية و كذلك النظريات والبراديغمات المعرفية.

ستخدام النظريات له الكثير من الفوائد، **الفائدة الأولى** هي أن النظريات تقوم بتوفير المنطق الرئيسي لحدوث الظواهر الطبيعية والاجتماعية من خلال توضيح الدوافع الرئيسية والنتائج الرئيسية للظاهرة المنشودة والسبب وراء حدوثها، **والفائدة الثانية** هي أن النظريات تساعد على توضيح المعنى من خلال مساعدتنا على تركيب وبناء النتائج

التجريبية المسبقة داخل إطار نظري والتوفيق بين النتائج المتناقضة من خلال اكتشاف العوامل المحتملة التي من شأنها أن تؤثر على العلاقة بين بنيتين في الدراسات المختلفة. **الفائدة الثالثة** للنظريات هي أنها توفر الإرشاد للبحث المستقبلي من خلال المساعدة على تحديد البنيات (التركيبات) والعلاقات التي تكون بحاجة للمزيد من البحث **والفائدة الرابعة** تكمن في أن النظريات يمكنها المساهمة في بناء المعرفة المتراكمة من خلال سد وتوصيل الفجوات بين النظريات الأخرى وإعادة تقييم النظريات الراهنة بشكل جديد. (باتشيرجي،ص 78)

**تساعد النظريات على إقامة نوع من الاستبصار في البحث العلمي، من خلال اللبنات التي تضعها كشروط للعمل (التركيب، البنيات، المنطق، الاقتراحات، الفروض) وهي عناصر كافية لجعل قراءة الظاهرة تتم في المستوى المعقد وليس المستوى السطحي حيث يكون الكشف أو الاستقراء فقط.**

ثم إن فائدة النظريات تتحدد عند مقابلتها لإشكاليات بحث تتعدى التعرف والاستكشاف إلى المطالبة بتقديم تفسيرات عميقة لدينامية وحركية الظاهرة، وتفسير العلاقات المعقدة التي تصادف الباحث، كون البروتوكول الاستقرائي لا يسمح أحيانا بالفهم المعمق لأنماط الاستدلال على الحقائق وتأويلها في سياقاتها الصحيحة.

**5. إمكانية إسقاط النظريات في أفضية البيئة الرقمية:**

عبارة وسائل الإعلام الجديدة ومقاربتها نظريا: لا توجد وسائل إعلام جديدة، إن ما يتعرض له الفرد أو بالأحرى يستخدمه هو حوامل جديدة للإعلام وممارسة الاتصال على نحو لم يكن شائعا من قبل، إنها مفرزات التقانة المتسارعة جدا، التي أنتجها ذكاء الإنسان ثم عجز عن التحكم فيها، فلا يمكن الجزم أن التلفزيون وسيلة قديمة وأن الانترنت بوسائطها ومنصاتها ومواقعها حلت محله، أليس هذا طرحا فيه من المغالاة ما فيه؟ وهل أن الصحف الالكترونية حلت محل الصحف الورقية وألغتها فعلا؟ وهل منصات مشاهدة السينما الرقمية أفضت إلى غلق دور السينما العالمية؟ طبعا الإجابة لا، إذن لم التحامل على تداول مصطلح إعلام جديد بهذه الطريقة وبهذه الكثافة؟

المستخدم في فضاءات الأنترنت المتعددة يقف أمام حوامل جديدة لممارسة فعل إعلام الآخر والدخول معه في علاقة اتصالية ذات أوجه مختلفة وعناصر تزيد وتنقص، ويمكن فحصها كما فحصت ديناميكية دور وسائل الإعلام الأخرى كالتلفزيون والراديو والسينما، ولسنا بصدد المرافعة حول إلغاء الاصطلاح ولكن لتسديد أبعاد توظيفه في السياقات الصحيحة على مستوى دراسات وأبحاث الإعلام والاتصال.

فالتوجه نحو مقاربة إشكالات الوسائط الجديدة حتما سيبدأ من النظريات التي قوربت بها وسائل الإعلام التقليدية مع التحفظ على المصطلح (تقليدي)، فنجد الباحث يتبنى التلقي، ومدخل الاستخدام والاشباع، ولولب الصمت، وحارس البوابة، والتأثير، وانتقال المعلومات والتفاعلية الرمزية، وغيرها من النظريات والبراديغمات مع اختلاف فقط في المجال البحثي والوسيلة. إن هذا التوظيف لا يشرعن لإنشاء نظريات خارقة للعادة ولا يبعث على ضرورة الإسراع في إنشاء مصنع للنظريات العلمية المفسرة تحت ضغط فكرة التقانة والتسارع التكنولوجي ومواكبة تطور أبحاث الاتصال.

لأن مقاربة إشكالية ما في البيئة الرقمية ضمن مدخل الاستخدامات والاشباعات من خلال ما يتم إنجازه من بحوث لا يخرج عن دائرة طرح النظرية وإسقاطاتها في دراسات وسائل الإعلام التقليدية، فالباحثون في مذكرات وأطروحات الماستر

و الدكتوراه، يعيدون نسج تركيبة النظرية وتفسيراتها لى منصات الفايسبوك و غيره، دون تعزيزات علمية أو دحضن أو مراجعة للنظرية أو تفنيد لها، وبهذه الممارسة المنهجية لا يمكن الحديث عن نظرية الاستخدامات والاشباعات أو التلقي مثلا في حلة جديدة مادام الاشتغال والعمل بهما لم يخرج عن قوة التفسير الذي قدمته وسائل الإعلام التقليدية أو القديمة حسب قول الكثير من الباحثين.

هناك قصور من طرف بحوث ودراسات الإعلام الجديد في استعمال نظريات تتوافق وطبيعة النماذج الخاصة بموضوع الإعلام الجديد، فقد كشفت الدراسة التي أجرتها كل من (بوزيدي ولونانسة) أنه على مستوى التنظير الغربي قم تم استحداث العديد من النظريات كما طورت أخرى لتتلاءم وطبيعة الإعلام الجديد وهذا ما يعكس عدم جدية الباحثين في البحث والتنقيب عما توصل إليه البحث وقد أكدت الباحثتان من خلال النتائج المتوصل إليها وجود شح كبير في إقبال الباحثين على دراسات القائم بالاتصال في مجال الإعلام الجديد (لونانسة، ص307)

تكمن الصعوبة المنهجية في دراسة الوسائط الاتصالية الجديدة في ضرورة تحديد المجالات التي يتحرك فيها هذا الصنف من الإعلام، فإمكانية الوصول إلى نموذج نظري لا يتم عن طريق ما هو موجه من نقد للإعلام السائد بل انطلاقا من مخرجات وتجارب وسائل الإعلام التي تطرح نفسها كبديل عن وسائل الإعلام القديمة، والبحث في الوسائط الاتصالية الجديدة لم يكن سوى امتدادا للتراث الكبير المعروف في بحوث الإعلام، وهنا يجب التأكيد على أن تفسير طبيعة وتأثيرات الوسائط الجديدة، وفقا للأطر النظرية لوسائل الإعلام التقليدية يبدو ممكنا، غير أنه يحتاج إلى تطوير وتطعيم بأطر جديدة، وذلك بالنظر للطابع الخاص لهذه الظواهر والمختلف إلى حد ما عن الوسائط التقليدية. (دغمان، 2017، ص91)

اعتمد الباحثون في تفسيرهم لظاهرة وسائط الاتصال الجديدة في بدايات ظهورها وبشكل أساسي على الموروث النظر يالتقليدي، الذي كان مستمدا هو الآخر من جملة من أهم التيارات البحثية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، من دراسات وسائل الإعلام إلى الاثنوغرافيا، ثم الاقتصاد والاقتصاد السياسي إلى علم الجمال وتحليل الخطاب ودراسات الجمهور. وقد دعى البعض وعلى رأسهم الباحث الفرنسي **"دومينيك فولتور"** إلى إدراج التنظير لآثار شبكة الانترنت ضمن مختلف النظريات التقليدية، لانه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نفصل الوسائط الجديدة عن تطور ظاهرة التواصل الإنساني في مختلف تجلياته. (همیسي، ص64)

رشحت الكثير من النظريات التقليدية كمرجع لتفسير الظواهر الجديدة التي خلفتها وسائط الاتصال الجديدة وفي المقابل سقطت أخرى، لأنها لم تعد صالحة لتفسير المعطيات الجديدة التي أتت بها هذه الوسائط، ومن ذلك نظرية حارس البوابة ونظرية التأثير المباشر أو الحقنة تحت الجلد، ومن النظريات التي استخدمت على نطاق واسع في هذا السياق (رزوق، 2021، ص35-36):

- نظرية الاستخدامات والاشباعات
- نظرية انتشار المبتكرات
- نظرية وضع الأجندة.
- نظرية التلقي
- انتقال المعلومات

إن الأطروحات النظرية التي قدمت لفهم طبيعة الإعلام الجديد لم يكن مصدرها أساتذة الإعلام والاتصال بالأساس بقدر ما صدرت عن خبراء وأساتذة ومهتمين بالشق التكنولوجي المتعلق بتقنية المعلومات، وهندسة الشبكات وتطوريها، إذ اتسمت المقاربات السائدة بطابعها التقني **technological** أي أنها بحثت في ظاهرة الإعلام الجديد من منظور تكنولوجي معتبرة التكنولوجيا وتطبيقاتها بعدا أساسيا ومؤسسا لخصوصية الإعلام الجديد، يعكس هذا المنظور للإعلام الجديد تمثلا حتميا يعظم عاملا بعينه (التكنولوجيا) على حساب عوامل أخرى تساهم في تشميل الظاهرة الإعلامية والاتصالية بشكل عام بما أنها ظاهرة مركبة **complex** (لطرش، ص225)

منحت مفرزات الانترنت والوسائط الاتصالية ومفهوم المنصات والمواقع للباحثين القدرة على إصقاط النظريات على محتوياتها ومستخدميها والقائم بالاتصال عبرها، إلا أن الظاهر في فهم هذه العناصر باستخدام النظريات أوقع الباحثين في فخ القولبة النظرية، عن طريق أخذها كمناذج جاهزة لقولبة الظاهرة أو السلوكيات أو أشكال التأثير والتلقي والاستخدام، والذي تشكل جراء هذا التوظيف العشوائي أحيانا هو لا عدم جدوى الطرح لأن ما تحقق منن نتائج لم يخرج عن تدوير نتائج تم التوصل إليها سابقا، ويمكن االقبول بأنها ذات جدوى لما كان الإشكاليات التي تتباحثها منطلقات أولية في الانفتاح على الفاضاء الرقمي التواصلي لا أكثر.

تشكل البحوث حول مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية استمرارية لبحوث الاتصال الجماهيري، إذا أن الكثير منها يسعى إلى تشخيص دور هذه المواقع في التغيير الاجتماعي و السياسي وتشكيل الرأي العام ورفع الوعي والتاثير على القيم والسلوك الاجتماعي وهذا رغم الاختلاف الواضح بين وسائل الاتصال الجماهيري الكلاسيكية وهذه المواقع، إن دراستها لا تسعى إلى استخراج القوانين العامة التي تشرح هذه الظاهرة مثلما تفعل المقاربات الوضعية ويمكن تعميمها ولا تنجح في نفي أي مساهمة للفاعل/مستخدم هذه الشبكات في السياق الثقافي والاجتماعي الذي تستخدم فيه هذه الشبكات. مثلما تتصور النظريات الوظيفية، فهدف الباحث في مواقع هذه الشبكات هو استجلاء المعاني التي يشترك في انتاجها مستخدمو هذه المواقع وجعلها مفهومة من قبل المستخدمين، والتمسك بنظرية التأثير التي أطرت بحوث الاتصال الجماهيري في المنطقة العربية لعقود عديدة ينطلق من براديغم وظيفي يفسر الظاهرة انطلاقا من سببية خطية (سبب/نتيجة) وبحوث المواقع ذات المدخل الوظيفي لا ترى فيها غير أدوات بسيطة تعمل على تلبية حاجات المستخدم وإشباعها وكما يقول **نصر الدين العياضي**: " **أصبحت هذه النظرية الاستخدامات والاشباعات أداة سحرية لتفسير الظارهة الإعلامية بما فيها مواقع الشبكات الاجتماعية** ! (العياضي، 2013، ص41-44)

**6. النتائج العامة:** يمكن تعقيبا على ما سلف التطرق له من مواضعات بخصوص البراديغم وفوضى النظريات، و سياقات التوظيف في ظل الراهنية البحث أن نستخلص أبرز الاستنتاجات كما يلي:

1. أولا تتعرض النظرية إلى استنقاص من حيث الحظوة والأهمية في العملية التدريسية، على حساب تدريسية المناهج وأدوات البحث التي تلقى اهتماما كبيرا وقبولا حتى على مستوى الفهم والاستعاب في الجامعات.

2. يتم عزل تدريس تدريس النظريات في بحوث الإعلام والاتصال عن الوضابط المنهجية، والاحتكانات الموضوعية لأطروحة الاستنباط، التي تشكل مبدء فلسفيا شكل ولازال إحدى أهم سرورات التفكير الاستدلالي لإشكاليات البحث و ظواهر عناصر العملية الاتصالية.
3. يعاب على الطلبة اليوم عدم توجههم إلى قضايا الفكر الاتصالي والإعلامي، واكتفاء الكثير منهم وهذا مؤكد من خلال ما نعايشه فيه أطروحاتهم و دراساتهم على التناولات السطحية للنظريات المفسرة، دون فهم بالإجراءات العملية المحددة لكيفيات العمل بالنظمة النظرية و قوانينها واتساقها.
4. هناك حلط كبير لدى الباحثين بين الراديغمات (النماذج المعرفية الإرشادية) وبين النظرية وبين المقاربات في بعديها المنهجي و النظري. ، هذه الأخيرة مثلا لا يمكن مقاربتها ببالشكل الذي تولدت فيه داخل حقل البحث السوسيولوجي أو الفلسفي على صعيد الدراسات الإعلامية إذ تتطلب جهدا إضافيا من أجل تكييفها.
5. تميز عملية التبني النظري في الدراسات الإعلامية حالة من الفوضى في الاستخدام أو التوظيف مع التركيز على هاتين العمليتين إذ بينما اختلاف كبير يتمثل في أن الاستخدام قد لا يفضي إلى شرط التفسير بالنظرية فتبقى مثلا نظرية ما لدى الباحث مرتكز لفهم بعض الجزئيات في دراسته، عكس التبني الذي يشترط تفعيل التركيبة و القوانين التفسرية للنظرية و ملاءمتها مع متطلبات الواقع المراد التمعن فيه وإدراكه جيدا.
6. أما على مستوى التنظير فيمكن القول أن الحصاد النظري في البيئة العربية لازال رهين أفضال الترجمات والتي لا يمثلها إلا عدد قليل من الباحثين الذين كان لهم المساهمة المعتبرة في التعريف بكثير من النظريات، وتبقى عجلة صناعة النظريات بطيئة حتى لا نطلق حكما مطلقا بأنها شبه غائبة، والسبب الرئيسي في اعتقادي يرجع إلى اهتراء إجراء االبحث الاستقرائي بشكل جيد، والذي يعتبر المحدد الأول على وجود أرضية تسمح بالتنظير.
7. لا يمكن التنظير إذا غابت استقراءات جيدة للواقع والتي قد تؤدي إلى بناء نظرية جيدة صالحة لفهم الواقع وحل معضلاته البحثية.
8. طغيان النزعة التكميمة في بحوث الإعلام والاتصال جعل قضايا تأويل نسقية الاتصال ومرجعياته ودلالاته و السياقات المتحكمة في الزواهر أمرا متأخرا وغاية في التعقيد، إذ لا تشكل البحوث النوعية الجيدة إلى القدر القليل بالمقارنة مع الدراسات المسحية التي غلبت في تناول كل القضايا الاستشكالية الحالية.
9. هناك الكثير من النظريات التي قتلت بحثيا سواء من حيث التكرار المفرط لها أو من حيث الباسها ثوب الملاءمة المرغم في كل القضايا التي تشكل ظواهرا للبحث والتساؤل اتصاليا وإعلاميا، والمتتبع لحصيلة المذكرات والأطروحات العلمية المنجزة يجد أن نظرية الاستخدامات والاشباعات مثلا أضحت جرعة مفرطة في الدراسات الإعلامية وصار تناولها زائدا عن حده، في المقابل هناك الكثير من النظريات المعمول بها في الإعلام والاتصال لازالت غير معلومة لدى الباحث العربي وفي حالة ما وصلته ترجماتها تصله معها إكراهات من حيث المصطلح والمفاهيم المرافقة لها، وهذا مشكل يؤرق الباحثين.

## 7. خاتمة:

عند فتح موضوع للنقاش بخصوص النظريات وإشكاليات توظيفها في أبحاث الاتصال، يزداد الأمر تعقيدا في كل مرة، وتبتعد محاولات تصحيح الوضع الراهن للبحث أكثر مما تقترب، وتؤكد ذلك الذهنيات التي ترافع لأساليب تدريس المقاربات النظرية والمنهجية بشكل فوضوي انطلاقا من ذريعة اختلاف التكوين وتمايز المرجعيات المؤطرة للباحثين (فرانكوفوني، انجلوساكسوني، أرابوفون (araabofone)، أو مختلط شامل (globale)، أو كما عبر عنه الدكتور **نصر الدين العياضي "بالوعي الشقي"** * الذي يتبناه رواد ومريدون في النظريات والمناهج وهم كثيرون.

ولا يختلف إثنان أن معظم نظرياتنا مستوردة وليست مدعمة بتعزيزات علمية أو محاولات جادة لإعادة تبيئتها وفق ما يتماشى مع الراهن البحثي إشكاليا وجغرافيا، وحتى على مستوى عناصر العملية الاتصالية المختلفة الخصائص والتوصيفات، والمناهج أيضا بأدواتها المستلفة بلا تطوير والأبعد من ذلك بلا تطبيق جيد على أرض الواقع، فمن غير المعقول أن تنجز بحوث مسحية على عينات من عشرة مفردات أو باستبيانات مكونة من عشرة أسئلة !

إن تدريس النظريات والمناهج يعيش اليوم حالة شبيهة بالتمييز العرقي، أو مفاضلة غير معقلنة انساقت وراء تعليم كيفيات المنهج والمنهجيات وأهملت كيفيات النظرية والاقترابات والبراديغمات، مما جعل البحث التفسيري والتأويلي(النوعي) صعبا ومعقدا وبعيدا عن الباحث، ولا ينجز بالمعايير المطلوبة، وهذا ما أفرز ظاهرة انزياح منهجي ونظري على مستوى المذكرات والأطروحات والخروج عن الرصدالمعرفي للتصورات الفلسفية التي أرستها مدارس عريقة مثل بالو ألطو، شيكاغو، وهو الرهان المطروح الآن أمام باحثي حقل الاتصال والإعلام المطالبين بإعادة التخصص إلى موقعه الذي بدأ منه، بعد عقود من الشتات الذي نعيشه اليوم في أبسط المفاهيم كالأداة، والمنهج، والبراديغم، والتصور والدور والوظيفة، والتأثير وغيرها من السهل الممتنع.

إن الوضع المنهجي للنظريات المعمول بها اليوم متسع جدا نتيجة العلاقات العبر تخصصية التي تشكلت بفعل التطور والإندماج التاريخيين، إلا أن البحث في علوم الإعلام والاتصال يجب أن يتجه إلى مضمار التجديد وإلى ثورة علمية ثانية غير ثورة كوهن توماس، وإلى التطوير الشامل للنظريات والمناهج والبراديغمات حتى يتسنى توسعة جغرافية البحث وأدوات التفكير. المساعدة على التنظير ومحاربة فوضوية البحث وهذا حال توجهات التنقيب في الوسائط ومفرزات الانترنت بمنصاتها المتشابكة والمتوالدة باستمرار حتى يمكن إيضاح رؤية التناول والطرح وحدود لاقتراب من اقتناص نظريات ذات كفاءة أو تناولات جديدة لهذه النظريات تدفعها المرجعيات ويحركها التفكير و يغذيها التطوير.

**توصيات الدراسة:**

ومن بين التوصيات المتوصل لها يمكن التركيز على أهمها فيما يلي:

- ضرورة مراجعة الإرث النظري في حقل علوم الإعلام و الاتصل وتقصي النظريات القديمة وموقعها اليوم في ساحة البحث، من حيث الملاءمة أو الحاجة إليها، أو قابلية توظيفها من أساسه.
- محاولة تأسيس فكر تنيظري يبدأ من مفموم الحلقات العلمية المتخصصة ويتطور مع تعميم الفكر الفلسفي في البحث الإعلامي و الاتصالي.
- الاهتمام بتدريس النظرية في أبعادها المعقدة وليس السطحية حتى يتسنى للطالب المبتدئ امتلاك التقينات والإجراءات اللازمة للعمل بالنظريات وتفتيتها وفهم سياقاتها وأطر التفسير بها.
- تنظيم طريقة البحث في مواقع التواصل أو الشبكات ومنصات الانترنت أو الوسائط على اختلاف التسميات حتى لا تصبح مسألة تبني نظرية في البحث الوسائطي، سلوكا عاديا مميعا.

- التفريق بين الدراسات التي تتطلب تتبني نظرية في البحث عن تلك التي تنطلق من القاعدة نحو بنائها كنتيجة نهائية ومعناه التفريق بين أطروحتي الاستقراء والاستنباط في البحث العلمي.
- التدقيق في المنظومة المفاهيمية والمصطلحية التي أرستها الاستعارات والاستلافات العلمية لحقل علوم الإعلام والاتصال مع العلوم والتخصصات الأخرى منذ التأسيس إلى اليوم، تفاديا للتداخلات الحاصة على مستوى النظرية و التنظير.
- الإسراع في تأسيس اتفاقات علمية على مستوى النظريات والمناهج والمصطلحات والمفاهيم، حتى تتضح بعض أطر التخصص مع الحفاظ على المرجعيات الابستيمولوجية أو تاريخانية الاتصال.
- التأكد من صلاحية النظريات وقوتها وعدم تناقضها داخليا وهي الشروط التي أكدها كارل بوبر.

**8. قائمة المراجع:**

**.أولا: باللغة العربية:**


1. أحمد فلاق وخالد لعلاوي. (15 اكتوبر ، 2018). إشكاليات منهجية في أطروحات الدكتوراه في علوم الإعلام و الاتصال بالجزائر. *مجلة الصحافة و الاتصال*(08)، صفحة 96.

2. الحاج عيسى سعيدات وأيت قاسي ذهبية. (30 نوفمبر ، 2019). ابستيمولوجيا الاتصال (إشكاليات متولدة من رحم التنظير الفلسفي). *مجلة سلسلة الأنوار، 03*(10)، صفحة 113.

3. السعيد بومعيزة وهالة دغمان. (01 جانفي، 2017). دراسات الوسائط الاتصالية الجديدة (قراءة في الأطر النظرية والمنهجية). *المجلة الجزائرية للاتصال، 16* (26)، صفحة 91.

4. أنول باتشيرجي. (2015). *بحوث العلوم الاجتماعية (المبادئ والمناهج والممارسات)* (الإصدار 02). (خالد بن ناصر آل حيان، المترجمون) عمان، الأردن: دار اليازوري.

5. إيان كريب. (1994). *النظرية االجتماعية من بارسونز إلى هابرماس*. (محمد حسين غلوم، المترجمون) الكويت : المجلس الوطني للثقافة و الفنون .

6. تهاني سنديان. (بلا). *أفق الكتاب النسوي (نحو نموذج ثقافي جديد في عالم متحول)*. بيروت، لبنان : مؤسسة الفكر العربي .

7. حسين سعد. (2017). *باراديغمات البحوث الإعلامية الابستيموولجيا الإشكاليات، الأطروحات*. بيروت: دار المنهل اللبناني.

8. حميدة خامت، كمال رزوق. (13 جانفي، 2021). المقاربات النظرية والأساليب المنهجية في دراسة وسائط الاتصال الجديدة محاولة بحث في الإشكالات واقتراح للبدائل. *المجلة الجزائرية للبحوث الإعلام والرأي العام، 03*(02)، الصفحات 36-35.

9. ريتشارد سويدبرغ. (بلا ربيع ، 2017). قبل النظرية يأتي التنظير أو كيف نجعل العلوم الاجتماعية أكثر جاذبية. *مجلة عمران ، 05*(20)، صفحة 166.

10. سعاد سراي. (سبتمبر، 2018). البراديغم في علوم الإعلام والاتصال بين الضرورة المنهجية والصعوبات الإجرائية. *مجلة علوم الإنسان و المجتمع، 07*(28)، صفحة 395.

11. سهام بوزيدي وسوسن لونانسة. (17 جوان، 2019). الاتجاهات البحثية لبحوث الإعلام الجديد في الجزائر (دراسة تحليلية نقدية لرسائل الماجستير المنجزة بقسم علوم الإعلام والاتصال بجامعة باتنة 2010-2015. *مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 20*(01)، صفحة 307.

12. سوسن لونانسة وليلا بن لطرش. (15 جوان، 2019). الإشكاليات النظرية و المنهجية لبحوث الإعلام الجديد قراءة تحليلية. *مجلة المعيار، 23*(03)، صفحة 224.

13. عمار بوحوش. (2019). *منهجية البحث العلمي و تقنياته في العلوم الاجتماعية*. الجزائر: المركز الديمقراطي العربي.

14. غالم عبد الوهاب. (01 جانفي، 2014). تساؤلات حول إشكاليات التنظير في علوم الإعلام والاتصال (محاولة لرصد إسهامات الباحث العربي وسياقاته في التنظير). *مجلة العلوم الاجتماعية، 08*(01)، صفحة 177.

15. كارل بوبر. (2006). *منطق البحث العلمي*، (الإصدار ط: 10). (محمد البغدادي، المترجمون) بيروت ، لبنان: المنظمة العربية للترجمة.

16. مادلين غراويتز. (1993). *مناهج العلوم الاجتماعية (منطق البحث في العلوم الاجتماعية)*. (سام عمار، المترجمون) دمشق، سوريا: المنظمة العربية للترجمة والثقافة و العلوم و المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر.

17. ميشال دوبوا. (2008). *مدخل إلى علم اجتماع العلوم*. (سعود المولى، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة .

18. نادية العيشي. (2017). *منهجية البحث في العلوم الاجتماعية*. الجزائر: مؤسسة حسين رايس الجبل.

19. نصر الدين العياضي. (جانفي اخر ، 2013). وسائط جديدة وإشكاليات قديمة (التفكير في أدوات التفكير في مواقع الشبكات الاجتماعية في المنطقة العربية. *مجلة الباحث الإعلامي، 5*(22)، الصفحات 41-44.

20. نور الدين هميسي. (27 نوفمبر، 2014). الأطر النظرية والمنهجية لدراسة الميديا الجديدة (قراءات نقدية). *مجلة علوم الإنسان والمجتمع، 03*(12)، صفحة 64.

**ثانيا: باللغة الأجنبية**

21. Attallah, P. (1991). *théorie de communication (sens, sujets, savoirs)*. Québec, canada: presse de l'université du Québec.

22. Gilles Willett. 01) octobre, 2012). paradigme, thérorie, model, shéma qu' est ce donc? *communication et organisation*03 صفحة ،

23. Huene, H. (1993). *Reconstructing Scientific Revolutions. Thomas S. Kuhn 's Philosophy of Science.* Chicago,: University of Chicago Press.

24. Littlejhon, S. (1989). *Theories of Human Comunication.* Belmont: Wadsworth Publishing.

25. margaret, M. (1970). *« The Nature of a Paradigm », dans Imre Lakatos et Alan Musgrave Criticism and the Growth of Knowledge.* London, england : Cambridge University Press.

26. Windahl, M. a. (1993). *communication model (for the study of mass communications* (Vol. 02). london : Routledge